(سليم حسن) كمنقب وعالم اثار

للأستاذ الدكتور محمد جمال مختار

وكيل وزارة الثقافة لشئون الآثار

الحديث عن « سليم حسن » إنما يتناول صورة مشرفة لمصرى استطاع أن يقتحم ميدان الكشف والتنقيب عن الآثار القديمة — الذى كان وقفا على الأجانب من قبل — بشجاعة وجرأة نادرتين ، والذى أثبت أن المصريين لا يقلون عن غيرهم من الأثريين إذا ما أتيحت لهم الفرص ويسرت لهم الامكانيات ، والذى كان لاكتشافاته دوى هائل فى كافة الأوساط العلمية العالمية ورنة فرح وسرور فى سائر أرجاء البلاد العربية . بل الواقع أن سيرة « سليم حسن » هى قصة خلق الوجود المصرى فى مجال الآثار المصرية ، وهى قصة كفاح وجهاد متواصلين فى ميدان شاق وصعب وعسير ، وفى وقت كان يحكم البلاد فيه مستعمرون متعالون وملوك طغاة .

ولقد كان ذلك اللون من الكفاح طابع جيل «سليم حسن » ، نراه — وإن اختلفت الوسائل والأساليب — فى كافة الميادين : فى ميدان الاقتصاد ممثلا فى « طلعت حرب » ، وفى ميدان الآثار ممثلا فى « سليم حسن » ، كما يمكننا تتبعه فى كافة الميادين الأخرى ، وتلمس دوافعه فى ذلك الانطلاق المصرى الذى تمخض عن ثورة ١٩١٩ .

* * *

ولكن لا بد لنفهم سيرة « سليم حسن » أن نتحدث قليلا عن قصة علم الآثار

المصرية منذ بداية القرن التاسع عشر حتى أيام « سليم حسن » فى أوائل القرن العشرين . فلقد انزوت الآثار المصرية فى زوايا الإهمال والنسيان وتعرض جانب كبير منها للتدمير والضياع حتى أوائل القرن التاسع عشر حين بدأ العلماء فى البحث عن تلك الآثار نتيجة لظهور كتاب « وصف مصر » لعلماء حملة « نابليون » ، والعثور على حجر رشـــيد ونجاح « شمبليون » فى الكشف عن أصول الكتابة المصرية . فمنذ ذلك الوقت أخذت الجامعات والمؤسسات العلمية فى الاهتمام بالآثار المصرية . وبدأت مرحلة الكشف عن الآثار وصيانتها ودراستها وظهر علم جديد هو علم الآثار المصرية « إيجبتيولوجى » وبرز عـــدد كبير من العلماء الأجانب بذلوا خلال القرنين التاسع عشر والعشرين جهودا جبـارة فى التنقيب المنظم عن الآثار وفى تسجيل وقراءة ما عليها من نصوص ثم دراسة وبحث ما كشفوه وسجلوه وترجموه .

وكان من بين علماء الجيل الأول العالم الألمانى « هنرى بروكش » (باشا) — الذى أنشأ سنة ١٨٦٩ أول مدرسة للدراسات الأثرية بالقـــاهرة ، كان من بين طلبتها الأثرى الكبير المرحوم « أحمد كمال » (باشا) وهو أول مؤرخ عربى منذ الفتح الإسلامى لمصر ، وإمام الرعيل الأول من الأثريين المصريين ، والرائد المصرى للدراسات القديمة فى مصر . ولقد بذل « أحمد كمال » جهـداً كبيراً فى ميدان الحفائر والمتاحف وكافة المجالات العلمية بجانب جهـــوده العلمية المتمثلة فى قرابة خمسة عشر مؤلفا علميا وما يقرب من ستين مقالا أثريا . ولـكن كان « لأحمد كمال » يد أخرى بيضاء فى ميـدان الآثار تتمثل فى جهوده فى نشر الثقافة الأثرية ومحاولة خلق جيل جديد ناشئ من الأثريين المصريين يعملون فى حقل الآثار الذى كان قاصرا فى ذلك الوقت على الأجانب .

ولقد كانت مهمته شاقة صعبة ، إذ كان الوعى الأثرى بين المصريين شبه

معدوم ، وكانت العناية بالآثار ودراستها أمورا غير مألوفة . ومع ذلك فقد جاهد طويلا لدى ناظر المعارف « أحمد حشمت (باشا) لإنشاء فرقة لدراسة الآثار المصرية » بمدرسة المعلمين الخديوية ، وكلل الله سعيه بالنجاح حين سمحت نظارة المعارف سنة ١٩١٠ بإنشاء قسم مسائى يلحق به الراغبون فى هذه الدراسة بتلك المدرسة وكان من خريجى ذلك القسم المرحوم « سليم حسن » .

وما دمت قد أشرت إلى « أحمد باشا كمال » (١٨٤٩ — ١٩٢٣) إمام الرعيل الأول من بين الأثريين المصريين ، فلا بد لى من الإشارة إلى زميل له فى مدرسة اللغات القديمة والآثار (مدرسة بروكش) هو المرحوم « أحمد نجيب » (١٨٤٧ — ١٩١٠) الذى عمل مفتشا للآثار وقام بالكثير من الحفائر والتنقيبات كما كان له نشاط محمود فى عالم التأليف ، وكذا المرحوم «محمد شعبان» (١٨٦٦ — ١٩٣٠) الذى عمل أمينا مساعدا بالمتحف المصرى وقام بعدد من الحفائر ونشر المقالات فى مجلة « حوليات مصلحة الآثار » .

* * *

ثم يأتى الجيل الثانى من الأثريين المصريين وعلى رأسه المرحوم «سليم حسن» الذى مرت عشر سنوات على وفاته ، والذى ترك أثرا لا ينكر فى نهضة الدراسات المصرية القديمة ، والذى كرس حياته للآثار المصرية وخلف وراءه ذخيرة علمية ثمينة من بحوث ودراسات ، ظل عاكفا عليها حفيا بها ، حتى صعدت روحه إلى بارئها .

إن معرفة ما قام به أمثال هؤلاء الرجال واطلاع الجيل الحاضر على سيرة حياتهم وما صادفوه من عقبات لواجب مقدس ، يمليه علينا صوت الحق والعدل ، ويحتمه الوفاء والعرفان بالجميل .

ولد « سليم حسن » بقرية ميت ناجى ، مركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية فى ١٥ أبريل سنه ١٨٨٦ . وقد توفى والده وهو صغير ، فرعته والدته التى كان لها أثر كبير فى حياته ، ظل يذكره ويفتخر به طوال حياته . وفى أحد أحاديثه الصحفية ، قبل وفاته بسنتين تحدث عن والدته قائلا « لقد كانت والدتى ورائى دائما ، ولولاها ما استطعت أن أكمل تعليمى ، كانت تحثنى وتدفعنى وتضىء لى الطريق وتذكرنى بأن الإنسان يعيش مرة واحده فيجب أن تعيش كرجل ، ومن هنا بدأت حياتى ، ولهذا السبب مضيت فى طريقى الواضح ، فقد عشت كما ينبغى أن يعيش الرجل وكما نصحتنى والدتى رحمها الله ، ولأذكر أنى نكصت يوما عن الحق كما أراه ، لا كما يراه لى بعض الناس ، ولا أذكر أنى تراجعت عن أمر عسير فى حياتى الباكرة ، ولا فما بعد الصبا والشباب إلى أيام الكهولة التى أحياها الآن » .

وبعد أن أتم « سليم حسن » دراسته الابتدائية والثانوية التحق بمدرسة المعلمين الخديوية وانضم إلى الفرقة التى سعى « أحمد باشا كمال » لدى ناظر المعارف أحمد حشمت باشا لإنشائها لدراسة علم الآثار ، واختير لها بعض الطلبة الممتازين فى علم التاريخ . وقد بذل « أحمد كمال » جهداً كبيراً فى التدريس بتلك المدرسة وفى مصاحبة طلبتها لزيارة المناطق الأثرية وكان من بين هؤلاء الطلبة المرحوم « أحمد عبد الوهاب » (باشا) وزير المالية الأسبق ، والمرحوم « أحمد البدرى » ناظر إحدى المدارس الثانوية سابقا ، والمرحوم « محمد فهيم » (بك) وكيل وزارة الشئون الاجتماعية سابقا ، والمرحوم «رياض جندى ملطى » مدير أحدى كبريات المدارس الحرة ، « ومحمد حمزة » كبير أمناء المتحف المصرى (سابقا) « ورمسيس شافعى » مندوب الجامعة العربية بباريس .

ولما أكملت تلك الفرقة دراستها سنه ١٩١٢ حاول « أحمد كمال » أن يلحق

بعض أفرادها بالمتحف المصرى ، ولـكنه لم يوفق فى هذا السبيل . وهنا يجب أن نذكر أن ذلك لم يثنه عن عزمه لإنشاء فرقة أخـرى للدراسة كان من بين طلبتها المرحوم الأستاذ « شفيق غربال » و « ومحمد رفعت » وزير المعارف الأسبق .

وقد اشتغل خريجوا الفرقة الأولى بالتدريس « فعمل « سليم حسن » مدرسا للتاريخ واللغة الإنجليزية بالمدرسة الناصرية بالقاهرة ، ثم نقل إلى مدرسة طنطا الثانوية ومنها إلى أسيوط الثانوية والخديوية بالقـاهرة . وكان « سليم حسن » كتله من نشاط خلال تلك الفترة ، فألف الـكثير من كتب التـــاريخ العام المدرسية نذكر منها « تاريخ مصر من الفتـح العثمانى إلى قبيل الوقت الحاضر » بالاشتراك مع عمر السكندرى ، « تاريخ أوروبا الحديثة وحضاراتها » (جزءان) بالاشتراك مع « عمر السكندرى » ، « صفوة تاريخ مصر والدول العربية » (جزءان) بالاشتراك مع « عمر السكندرى » و « الشيـخ أحمـــد السكندرى » ، وكذلك عرب كتاب « تاريخ دولة المماليك فى مصر » بالاشتراك مع « محمود عابدين » ، و « صفحة من تاريخ محمد على » بالاشتراك مع « طه السباعى » .

ورغم تـكسبه الـكثير من المال من التأليف والترجمة ومن التدريس الخصوصى فإن « سليم حسن » ظل متطلعا ساعيا ملحا للعمل فى مجال الآثار ، ويذكرنى فى هذا المجال أنه انتهز فرصة وجود ابن وزير الأشغال — الذى كانت تتبعه مصلحة الآثار وقتذاك — بين تلاميـذه بمدرسة الناصرية فطلب مقابلة الوزير نفسه ولما تحقق له ذلك ناشده أن ينقله إلى مصلحة الآثار فى أى وظيفة حتى ولو كانت كتابية ، ولـكن وزير الأشغال لم يتمكن من ذلك إذ كان العمـل بالآثار وقتذاك وقفا على الأجانب فقط . كذلك قام هو وزميله « محمود حمزة » بتقديم بعض الدراسات الأثرية إلى «ماسبيرو» مدير مصلحة الآثار وقتذاك فى محاولة لإقناعه بصواب تعيينهما بمصلحة الآثار ولـكن أثر ذلك لم يتعد شكر « ماسبيرو » لهما وتمنياته لهما بالتوفيق .

ثم جاءت الفرصة المناسبة سنة ١٩٢١ حين أصبح الوزراء المصريون أوسع سلطة وأقوى نفوذا أثر ثورة سنة ١٩١٩ ، فقد انتهز وزير الأشغال «شفيق باشا» فرصة تعيين فرنسيين أمينين بالمتحف المصرى ليشترط تعيين مصريين أمينين مساعدين لهما، فلم يتقدم وقتذاك سوى « سليم حسن » « ومحمود حمزة » إذ كان زملاؤهم الآخرون قد يئسوا وانصرفوا تماما عن العمل فى الحقل الأثرى .

ولكن « سليم حسن » وزميله أبعدا تماما عن أى عمل جدى فى المتحف المصرى وكانا كالمنبوذين لا يقبل عليهما أحد ولا يمدهما أحد بأية معلومات فيما عدا العالم الروسى « جولينشيف » الذى شجعهما على مواصلة الدراسة ، وقد عبر « سليم حسن » عن ذلك بأنهما بعد تعيينهما بالمتحف المصرى حنطا به .

ومن الأمثلة على سياسة الأبعاد هذه ، أنه حينما أعلن فى أوائل سنة ١٩٢٢ عن اكتشاف مقبرة « توت عنخ آمون » ذهب « سليم حسن » إلى الأقصر لمشاهدة تلك المقبرة ، ولكن المفتش العام لآثار الوجه القبلى كان انجليزيا وقتذاك منعه من الدخول إلى المقبرة ، وحدثت مشادة كبيرة بينهما ، انتهت بتدخل « هوارد كارتر » مكتشفها وسماحه له بمشاهدة المقبرة ، وقد كتب بعد ذلك مقالين بجريدة الأهرام عن ذلك الاكتشاف فى حين كتب المفتش العام تقريرا ضده بعث به إلى المدير الفرنسى لمصلحة الآثار — ومما زاد فى حنق المشرفين على الآثار وقتذاك على « سليم حسن » أنه ذهب سنة ١٩٢٢ على نفقته الخاصة برفقة « أحمد كمال » إلى فرنسا لحضور الاحتفال بمرور مائة عام على فك « شمبليون » لرموز اللغة الهيروغليفية وتمكن من زيارة عدة متاحف أوربية ، وبعد عودته كتب عدة مقالات فى جريدة الأهرم تحت عنوان « الآثار المصرية فى المتاحف الأوربية » كشف فيها عن أسرار سرقة الآثار المصرية ودور الأثريين الأجانب فى ذلك .

ولكن الأمر لم يدم طويلا بعد ذلك ، إذ أتاحت الضجة التى أثارها الكشف

عن قبر « توت عنخ آمون ١٩٢٢ وكـذا الاحتفالات بمرور مائة سنة على فك رموز اللغة الهيروغليفية — إرسال بعض المصريين لدارسة علم الآثار المصرية فى الخارج فأرسل « محمود حمزة » إلى لفربول وباريس ، أما « سليم حسن » فقـــد الحق بالمعهد الـكاثوليـكى بباريس وبجامعة باريس وحصـــل على دبلوم فى اللغات الشرقية وآخر فى تاريخ الديانات وثالث فى اللغات القديمة .

ولعله من قبيل المصادفة أن يتوافق مرور عشر سنوات على وفاة « سليم حسن» مع نفس المناسبات التاريخية التى سبق ذكرها . فنحن نحتفل الآن بمرور مائة وخمسين سنة على حل شمبليون لرموز اللغة الهيروغليفية ونحتفل أيضاً بمرور خمسين عاما على اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون بإقامة معرض لآثاره بلندن .

* * *

وقد عاد « سليم حسن » إلى مصر سنة ١٩٢٧ وليمين مرة أخـرى بالمتحف المصرى وليتجمد نشاطه مرة أخرى إذ أفهم منـذ أول يوم مكانه هو المـكتبة وأن عمله الأساسى هو ترجمة دليـــل المتحف . ولـكن كلية الآداب بالجامعة المصرية استدعته سنة ١٩٢٨ ليدرس علم الآثار بها مالبث أن عين فى وظيفـة أستاذ مساعد لعلم الآثار بكلية الآداب مع منحه لقب أمين شرف بالمتحف المصرى — وقد رقى بعد ذلك إلى درجة الأستاذ مع توليه الاشراف على حفائر الجامعة بمنطقة أهرامات الجيزة .

ولم تـكن أعباء التدريس ومها الحفر والتنقيب لتحول دون مواصلته للدراسة العلمية فوضع بحثا قيما نال عليه درجة الدكتوراه من جامعة فيينا سنة ١٩٣٥ . وقد أنعم عليه برتبة البا كوية فى يناير سنة ١٩٣٦ كما عين وكيلا لمصلحة الآثار المصرية وكان أول مصرى يتولى مثل هذا المنصب القيادى بمصلحة الآثار .

ثم مالبث أن تكالبت ضده القوى الرجعية والاستعمارية ونجحت فى إجباره على ترك العمل بمصلحة الآثار سنة ١٩٤٠ وعكف منذ ذلك الوقت على التأليف والإنتاج العلمى وبقى بعيداً عن العمل الأثرى الحكومى فيما عدا انتدابه للتدريس فى قسم الآثار فى كلية الآداب بجامعة عين شمس (ابراهيم باشا) التى أنشئت سنة ١٩٥١ ، ثم رئاسته للبعثة الأثرية التى زارت منطقة النوبة سنه ١٩٥٥ لكتابة تقرير عن وسائل إنقاذ معابد المنطقة وآثارها قبل أن تغمرها مياه السد العالى الذى تقرر إنشائه فى ذلك الوقت ، ثم رئاسته لحفائر مصلحة الآثار فى النوبة سنة ١٩٥٨ وأخيراً إشرافه على عملية جرد المتحف المصرى سنة ١٩٥٩ .

وفى ٢٩ سيتمبر سنة ١٩٦١ انتقل « سليم حسن » إلى جوار ربه وهو فى الخامسة والسبعين من عمره ، شاعرا بمرارة نغصت عليه شيخوخته لما لاقاه فى حياته من عقوق واضطهاد . ولعنا نرى ذلك بوضوح فى مقدمة الجزء الأول من موسوعته « مصر القديمة » حين يقول « إلى الذين أرادوا الإساءة إلى فأحسنوا وباعدوا بينى وبين الوظيفة ، فقربوا بينى وبين الإنتاج وخدمة العلم والوطن » كذلك تراها فى مقدمة كتابه عن الأدب المصرى القديم حين يقدمه قائلا « إلى من أتاحوا لى فرصة تأليف هذا الكتاب عن غير قصد منهم ولارغبة » .

* * *

والآن بعد أن ألمنا إلماماً عاما بتاريخ « حياة سليم حسن » لنتحدث الآن عن أياديه البيضاء فى ميدان الآثار ، ويمكن تقسيم هذا المجال الواسع إلى ثلاث نواح رئيسية .

والناحية الأولى هى جهوده العلمية وماتركه لنا من كتب ودراسات وأبحاث . ولعل أضخم مؤلفاته العربية هو كتاب موسوعة «مصر القديمة» الذى أخرجه فى

ستة عشر جزءا وأكثر من ١٠٫٠٠٠ صفحة . وكان قد بدأ فى نشر الجزء الأول سنة ١٩٤٠ وانتهى من الجزء السادس عشر سنة ١٩٦٠ متناولا تاريخ مصر وحضارتها من عصر ماقبل التاريخ حتى أواخر العصر البطلمى. وكان رحمه الله قد شرع فى كتابة الجزء السابع عشر عن « كليوباترا » وعصرها حين وافته المنية .

ومن مؤلفاته العربية « الأدب المصرى القديم » الذى نشره سنة ١٩٤٥ فى جزئين ، تناول فيهما كافة نواحى الأدب فى قرابة خمسمائة صفحة ، كما شرع فى تأليف كتاب عن النيل ، ولكن الموت لم يمهله لإتمامه .

كذلك كتب فصلا عن العادات المصرية القديمة السائدة إلى الآن فى مصر الحديثة فى مجلة المجمع العلمى سنة ١٩٤٤ ، وفصلا كبيرا عن الحياة الدينية وأثرها على المجتمع فى المجلد الأول من تاريخ الحضارة المصرية « العصر الفرعونى » الذى أخرجته وزارة الثقافة والإرشاد القومى سنة ١٩٦٢ :

أما فى ميدان الترجمة فقد ترجم كتاب « ديانة قدماء المصريين » للعالم الألمانى « شتيندورف » سنة ١٩٢٣ ، وكتاب « فجر الضمير » للمؤرخ الأمريكى « جيمس هنرى بريستد » سنة ١٩٥٦ . وعلى كل حال فإن مؤلفات « سليم حسن » باللغة العربية تتعبر ذخيرة كبيرة ومكتبية قائمة بذاتها لدراسة الحضارة والتاريخ الفرعونى ، وخاصة موسوعة « مصر القديمة » التى تغنى القارئ عن مئات المراجع والأصول الأجنبية . أذكر ذلك رغم عدم اقتناعى أحيانا ببعض الآراء التى جاءت فى تلك الموسوعة ، ومنها على سبيل المثال ماجاء فى الجزء الخامس عن « أخناتون » حيث ذكر عنه فى صفحة ٢٥٨ « وأما شذوذه العقلى فلمخالفته لأهل عصره فى

عدم تشيعه لأهل طيبة ومقتة الشديد للاله آمون . وأما شذوذه الخلقى فهذا موضع الغرابة ، وقد يصل فيه إلى مرتبة يتنزه عنها الحيوان الأعجم ، وإذا صح ماقيل فإننا لفي شك مريب فى تلك العلاقة بينه وبين أخيه « سمنخكا رع » إذ كان حبه له وتعلقه به خارجا عن نطاق العقل المألوف . وأن انحطاطه الخلقى ليتجلى كذلك فى زواجه من ابنته الثالثة التى أضحت زوجة « لتوت عنخ آمون » ، كما نلمس خشونته فى تحوله عن حبه لزوجته الجميلة « نفرتيتى » وسوء معاملته لها على حسب ماتوحى به الآثار المكتشفة » .

والواقع أن المرحوم « سليم حسن » كان قاسيا على « أخناتون » شديد التنديد به ، ونحن إذا حللنا ماجاء عنه فإننا نجد أن « أخناتون » ليس بالفرعون — الوحيد الذى تزوج من ابنته إذا صحت تلك الواقعة فلقد حكى عن « أمنحتب الثالث » والد أخناتون مثل ذلك وكذا عن خليفته السعيد « رمسيس الثانى » . كذلك ليس « أخناتون » بأول أو آخر رجل يجافى زوجته أو يخاصمها أو يتهم بسوء معاملته لها . أما عن علاقته « بسمنخ كارع » فليس هناك أى دليل جدى على ذلك الاتهام ، الذى أوحى به بعض المؤرخين الأجانب ، الذى ربما ورثوا عن « هيرودوت » عادة تشويه جمال الماضى ، وتدنيس التاريخ المصرى القديم ، وتقديمه إلى القراء مليئا بألوان الانحلال الخلقى والفسق والفجور .

أما مؤلفاته الإفرنجية فقد أغنتنا عن الحديث عنها السيدة الدكتورة ضياء أبو غازى » الأمينة الأولى بالمتحف المصرى ، والوحيدة التى تصدت بكلمة عرفان بالجميل « لسليم حسن » فنشرت مقالا من أربعة وعشرين صفحة تناولت فيها جهوده فى ميدن الآثار ، نشرته فى حوليات مصلحة الآثار سنة ١٩٦٤ . ويبلغ مؤلفاته حسب قائمتها ثلاثة وثلاثين مؤلفاً ، مابين كتب عليه

ككتابه عن « الأناشيد الدينية للدولة الوسطى » وكذا كتابه عن قصيدة « بنتاؤر » والتقرير الرسمى لمعركة قادش أيام رمسيس الثانى ثم كتابه عن « أبو الهول » الذى يعد من أهم الكتب التى ألفها .

كذلك ضمت القائمة مقالاته العلمية فى حوليات مصلحة الآثار والمجلات الأثرية الأجنبية وتقارير حفائره فى الجيزة وصقارة والنوبة ، وهى مؤلفات ضخمة يضم كل منها بضع مئات من الصفحات وعدد كبير من الصور واللوحات والرسوم والتخطيطات وقد بلغ عددها خمسة عشر مجلدا . ولدى مصلحة الآثار مؤلف ضخم له عن بعض أعماله الأثرية فى صقارة ، راجع أصوله قبل وفاته ولكن الأجل وافاه قبل أن يتمم هذه المراجعة تماماً .

* * *

هذا مجمل لما ألفه ونشره سليم حسن وموجز لما قام به فى ميادين الكتابة والبحث والتأليف . ولكن نشاط سليم حسن قد شمل كافة نواحى علم الآثار وخاصة ما قام به من جهود عملية فى الحفائر والتنقيبات ، وقد أعفتنا الدكتورة «ضياء أبو غازى» أيضاً من سرد تفاصيل ذلك النشاط إذ قد قامت بنشر قائمة ما تضم اكتشافاته وحفائره فى حوليات المصلحة سنة ١٩٦٤ والتى استمرت عشر سنوات من سنة ١٩٢٩ إلى سنة ١٩٣٩ . وذكرت نبذاً عن ١٧١ من المصاطب والمقابر الهامة التى اكتشفها .

وكانت حفائره فى منطقة أهرامات الجيزة من أهم ما قام به من حفائر إذ كشفت عن عدد كبير من مقابر الدولة القديمة وخاصة فى منطقة أبى الهول الذى كشف

عن أسراره وما يحيط به من غموض وإبهام . كذلك امتد نشاط سليم حسن في سنة ١٩٣٦ إلى منطقة صقارة وفي سنة ١٩٥٨ إلى منطقة النوبة في بلانة وقسطل .

وتعد مقبرة « رع ور » التي كشفها جنوب منطقة أبي الهول من أكبر المقابر التي ترجع إلى أيام الدولة القديمة ، وتكاد تضارع مقابر الملوك من حيث ضخامتها وكثرة التماثيل التي وجدت بها والتي لا تقل عن ١٢٠ تمثال . وقد حمل « رع ور » أكثر من ثلاثين لقباً كما تدل القصة التي كتبها على جدران ذلك القبر على عظم نفوذه وكبر مقامه لدى الملك « نفر اير كارع » أحد ملوك الأسرة الخامسة ، وهي تقص علينا كيف أن عصا الفرعون قد مست « رع ور » عن طريق الخطأ فاستاء فرعون واعتذر له وأعلن للملأ أن « رع ور » هو أحب الناس إلى قلبه وآثرهم عنده .

كذلك كشف « سليم حسن » عن مقبرة الملكة « خنتكاوس » آخر ملوك الأسرة الخامسة وحلقة الوصل بين تلك الأسرة والأسرة السادسة . وقد صممت هذه المقبرة على هيئة تابوت ضخم أقيم فوق صخرة كبيرة . وقد أطلق « سليم حسن » عليها إسم الهرم الرابع وهي تسمية كانت موضع جدال كبير . وقد كشف « سليم حسن » عن مدينة صغيرة لكهنة تلك المقبرة لا تزال منازلها المبنية من اللبن حافظة لشكلها حتى اليوم .

كذلك يعد اكتشافه اللوحة التذكارية التي أقامها الملك أمنحتب الثاني من ملوك الأسرة الثامنة عشر بجوار أبي الهول من أهم الاكتشافات الأثرية في تلك الفترة من تاريخ البلاد . وقد أقام « أمنحتب الثاني » هذه اللوحة تذكاراً لزيارته لأبي

الهول وبنى معبداً صغيراً بجوارها كشف « سليم حسن » عن بقاياه كذلك. تكشف تلك اللوحة عن صفحة هامة من تاريخ ذلك الفرعون تتناول تنشئته على يد والده تنشئة رياضية عسكرية كما تقص علينا مدى تفوقه فى التجديف والرماية والعدو والفروسية وغير ذلك من أساليب الرياضة .

وهنا يجب الإشارة إلى أن نشاط « سليم حسن » العلمى لم يقتصر على التأليف الحفائر فحسب ، فقد كان له أثر كبير فى تقدم الدراسات المصرية القديمة فى مصر بوجه عام كما كافح كثيراً من أجل فرض الشخصية المصرية فى مجال الآثار ، وتتلمذ على يديه عدد كبير من الجيلين الثالث والرابع من الأثريين المصريين سواء فى الجامعة أو فى ميادين التنقيب .

* * *

ويمكن إجمال شخصية سليم حسن فى أوصاف قصيرة محدودة ، واضحة أتم الوضوح : فلقد كان مثلا للريفى الصميم ، الذى تنبع مشاعره وإحساساته من صميم الريف ، والذى يعتز أشد الاعتزاز بهذه الصفة .

كذلك اتصف سليم حسن بالثبات على الرأى والتصميم عليه والدفاع عنه مهما كانت النتائج ودون اكتراث بالعواقب ، وكان عنيداً فى ذلك ، متمادياً إلى أقصى الحدود حتى ولو أدى ذلك إلى المشاغبة والنضال .

وكان بجانب ذلك شديد الوطنية ، يقف بالمرصاد لكل عبث بالتراث المصرى ويكافح بإصرار فى سبيل تثبيت الشخصية المصرية فى مجال الآثار .

وقد أدت هذه الطباع والصفات إلى محاربة الأثريين الأجانب وأصحاب

السطوة فى مصلحة الآثار له ، وإلى بطش « الملك فاروق به وإبعاده له عن مجال الآثار ، وإلى تلفيق الأذناب والحاشية التهم له وحياكة الدسائس ضـده .

وكانت من أهم صفاته بجانب ذلك قدرته الفائقة على العمل وإقباله المنقطع النظير على البحث والدراسة وإخلاصه الفريد فى تأدية واجبه فى صبر وتفان وجلد لا حد لهم .

لقد صوره أعداؤه كرجل طموح متغطرس مشاكس ، ولكن الواقع أن « سليم حسن » كان صاحب شخصية قوية لها طابعها الخاص المميز ، وصاحب إرادة جبارة لا تتغير ولا تتبدل باختلاف الظروف والأحوال . وكان يجمع إلى جانب الشخصية القوية والإرادة الجبارة البساطة المتناهية ، وجلد فائق الحد ، وعزة نفس كبيرة ، ووطنية متفانية ، وحب دافق لتاريخ مصر القديم وآثارها الخالدة .

هذه هى سيرة « سليم حسن » الذي ارتقى سلم المجد على درجات العلم والكفاح والذي أوقف حياته على خدمة الآثار ، وظل رغم شيخوخته وحتى أيامه الأخيرة مثابراً على الكتابة والبحث والتأليف ، والذى أدرك أن طبيعة عمل الأثريين المصريين ليس مجرد التحفظ على بقية من آثار صمدت على مر القرون والدهور أو مجرد تفاخر على بقية العالم بما كانت عليه البلاد حين كانت مركز إشعاع على بقية البلدان ، وإنما هو عمل ودراسة وبحث وكفاح ينعكس على الشعب فى شكل ثقافة وعزة تدفعه إلى الأمام .

ومع ذلك فحين توفى سليم حسن لم تنعه مجلة مصلحة الآثار بكلمة واحدة رغم

ما جرت عليه من عادة نعى كل عالم أجنبي فى صفحات طوال ، ولم يفكر أحد فى تخليد اسمه فى أى شكل من الأشكال .

لقد أصبح سليم حسن الآن فى ذمة التاريخ ، بعد أن عاش عمره كله يبحث فى أمجد صفحات تاريخنا الخالد ومجدنا التليد .

د . محمد جمال الدين مختار
وكيل وزارة الثقافة لشئون الآثار